Proto-Berber Reconstruction in Historical Context: Interactions between Phonological Change, Lexical Evolution, and Language Contact

Youness Boussaid[1]

Science Step Journal / SSJ

2026/Volume 4 - Issue 14

To cite this article: Boussaid, Y. (2026). Proto-Berber Reconstruction in Historical Context: Interactions between Phonological Change, Lexical Evolution, and Language Contact. Science Step Journal, 4(14). ISSN: 3009-500X.
https://doi.org/10.5281/zenodo.22118787

Abstract

This study examines the challenges of reconstructing Proto-Berber within the field of Berber historical linguistics, focusing on ongoing debates concerning lexical origins, phonological change, and language contact. It addresses a methodological issue whereby some analyses rely on the absence of lexical evidence, superficial morphological similarities, or the assumption that the pharyngeal consonant /ḥ/ was absent from Proto-Berber to question the authenticity of certain lexical items, such as Ašlḥi. The study highlights the importance of reassessing the criteria used to determine linguistic origins and distinguishing between synchronic descriptive models, such as the Pan-Berber model, and historical reconstruction based on the comparative method. Using a comparative historical approach, the research combines phonological and morphological analysis, dialectal evidence, and principles of language contact linguistics to investigate changes affecting Berber lexical and phonological structures. The findings show that some claims about lexical and phonological origins may result from confusing the lack of documentation with the absence of a linguistic feature, or from failing to distinguish contact-induced change from direct borrowing. The study argues that lexical and phonological systems are dynamic and subject to historical transformations that may modify word forms without altering their etymological origins. The research contributes to a more cautious methodology for Proto-Berber reconstruction by emphasizing the value of systematic comparative evidence, neglected dialectal data, and a dynamic view of the lexicon shaped by inheritance, internal change, and language contact. It also offers a framework applicable to broader questions in historical linguistics concerning linguistic origins and phonological evolution.

Keywords: Arabization, Berber linguistics, ethnonyms, historical linguistics, language contact, lexical origin, pharyngeal consonants, phonological reconstruction, Shelḥ, Tamazight.

[1] MA in Applied Linguistics and TESOL at Portsmouth University, UK
Youness.boussaid@edu.uiz.ac.ma

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

إعادة بناء الأمازيغية البدائية في سياقها التاريخي:
التفاعل بين التغير الصوتي والتطور المعجمي والاتصال اللغوي

يونس بوسعيد

ملخص

تتناول هذه الدراسة إشكالات إعادة بناء الأمازيغية البدائية ضمن سياق اللسانيات التاريخية للأمازيغية، حيث لا تزال بعض القضايا المتعلقة بالأصل المعجمي، والتغير الصوتي، وتأثير الاتصال اللغوي محل نقاش. وتنطلق الدراسة من مشكلة منهجية تتمثل في اعتماد بعض الطروحات على غياب الشواهد المعجمية، أو التشابهات الصرفية السطحية، أو افتراض عدم وجود الصامت البلعومي /ح/ في الأمازيغية البدائية للحكم على أصالة بعض الوحدات المعجمية، مثل لفظة «أشلحي». وتكمن أهمية هذا البحث في إعادة تقييم المعايير المستخدمة في تحديد الأصل اللغوي، والتنبيه إلى ضرورة التمييز بين النماذج الوصفية التزامنية، مثل نموذج البان-أمازيغية، وإعادة البناء التاريخية القائمة على المقارنة. وتعتمد الدراسة منهجًا تاريخيًا مقارنًا يجمع بين تحليل المعطيات الصوتية والصرفية، وفحص الشواهد اللهجية، والاستفادة من مبادئ لسانيات الاتصال اللغوي لتفسير التحولات التي طرأت على البنية المعجمية والفونولوجية للأمازيغية. وتبين النتائج أن بعض الأحكام المتعلقة بالأصل المعجمي والصوتي قد تتأثر بالخلط بين غياب التوثيق وغياب العنصر اللغوي، أو بين التغير الناتج عن الاتصال اللغوي والاقتراض المباشر. كما تظهر الدراسة أن الأنظمة الصوتية والمعجمية ليست كيانات ثابتة، بل تخضع لتحولات تاريخية قد تؤثر في أشكال الكلمات دون تغيير أصولها الإيتيمولوجية. وتسهم هذه الدراسة في تقديم مقاربة أكثر حذرًا لإعادة بناء الأمازيغية البدائية، من خلال التأكيد على أهمية الأدلة المقارنة المنتظمة، وإدماج المعطيات اللهجية المهمشة، والنظر إلى المعجم بوصفه نظامًا ديناميًا يتشكل بفعل التفاعل بين الموروث اللغوي، والتغير الداخلي، والاتصال بين الجماعات الناطقة. كما تقدم إطارًا منهجيًا يمكن تطبيقه على قضايا مماثلة في اللسانيات التاريخية المتعلقة بالأصل اللغوي والتغير الصوتي.

الكلمات المفتاحية

الأمازيغية، الأسماء الإثنية، التعريب، الاتصال اللغوي، الأصل المعجمي، إعادة البناء الصوتي، اللسانيات الأمازيغية، اللسانيات التاريخية، الصوامت البلعومية، شلح.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

1. المقدمة

ظلت الدراسة التاريخية واللغوية للغة الأمازيغية رهينة جملة من التناقضات والإشكالات المرتبطة بإعادةِ البناء، والتصنيف، وتشتت الشواهد. ويتمثل المحور الرئيس لهذه القضايا في مسألة الأمازيغية البدائية، بوصفها السلف المشترك لجميعِ اللغاتِ الأمازيغيةِ الحديثة. فبينما يؤكد عدد من اللسانيين وحدة هذه اللغة، يثير الاهتمام الحديث بتنوّعها الداخلي تساؤلات حول مدى تجانس هذه المرحلة اللغوية السالفة. وتزداد هذه النقاشات تعقيدًا بفعل المناهج التحليلية المعتمدة وما يكتنفها من إشكالات. كما تسهم محدودية منهج التأريخ اللغوي الإحصائي (glottochronology)، وندرة النصوصِ المبكرة، وتعقيد تفسير النقوشِ الليبية-البربرية، في زيادة صعوبة البحث في تاريخ الأمازيغية. ونتيجة لذلك، يظل بناء التاريخ اللغوي للأمازيغية حقلا مفتوحا ومتطورا، يتسم بتعدد النماذج التفسيرية والاعتمادِ على استنتاجات حذرة بدلا من خلاصات قطعية.

وقد انصب الاهتمام في الدراسات الحديثة على إعادة التقييم النقدي للافتراضات المتعلقة بالأصل المعجمي، وإعادة البناءِ الصوتي، وظواهر الاتصالِ اللغوي، ولا سيّما مع العربية. وتدور أبرز الإشكالات حول مدى صلاحية الحجج القائمة على غياب الشواهدِ المعجمية، ومدى إرجاع بعض الخصائص الصوتية، مثل /ح/، إلى الاقتراض أو الإرث اللغوي، وكذلك الخلط المنهجي بين المقاربات الوصفيةِ التزامنية (كما في نموذج البان-أمازيغية) وإعادةِ البناء التعاقبية. كما تبرز النقاشات حول الأسماء الإثنية، مثل *أشلحي*، قضايا أوسع في اللسانياتِ التاريخية، من بينها الدور المحوري للجماعاتِ الناطقة في تحديدِ الهوية اللغوية، ومخاطر الاعتماد على معطيات معجمية أو صوتية غير كافية. وتعكس هذه النقاشات مجتمعة توجها عامًا في الميدان نحو وعي منهجي متزايد، يؤكد ضرورة الاستناد إلى أدلة مقارنة منهجية، والتحفظ إزاء التعميم في دراسة تاريخ الأمازيغية.

وعلى الرغم من الإسهامات المهمة التي قدمتها الدراسات السابقة في مجال اللسانيات التاريخية للأمازيغية، ولا سيما في إعادة بناء النظام الصوتي للأمازيغية البدائية (Kossmann, 1999, 2020)، ودراسة أثر الاتصال اللغوي بالعربية (Kossmann, 2013; Souag, 2009, 2013)، وتحليل التطورات المعجمية في مختلف اللهجات (Prasse, 1969; Taine-Cheikh, 2000)، فإن معظم هذه الدراسات عالجت هذه القضايا غالبًا ضمن مجالات تحليلية منفصلة. فقد ركزت بعض الأبحاث على إعادة بناء البنية الفونولوجية للأمازيغية البدائية، في حين اهتمت دراسات أخرى بظواهر الاقتراض والتأثير العربي أو بتاريخ المفردات، دون أن تولي اهتمامًا كافيًا للتفاعل بين التغير الصوتي، والتطور المعجمي، والاتصال اللغوي بوصفها عوامل مترابطة في تشكيل التاريخ اللغوي للأمازيغية. كما أن بعض النقاشات حول أصالة عناصر معجمية معينة، مثل الأسماء الإثنية، ظلت تعتمد أحيانًا على معايير منفردة، كغياب الشواهد المعجمية أو عدم مطابقة بعض الأصوات للنظام المعاد بناؤه، دون إدماج كافٍ للمعطيات اللهجية والتغيرات الصوتية التاريخية. ومن هنا تتمثل الفجوة التي تسعى هذه الدراسة إلى معالجتها في تقديم مقاربة تكاملية تربط بين إعادة البناء الفونولوجي والتحليل المعجمي ولسانيات الاتصال اللغوي. ومن خلال دراسة حالة «أشلحي» ومسألة الصامت /ح/، تقترح المقالة إطارًا منهجيًا يهدف إلى إعادة تقييم حدود

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الاستدلال في اللسانيات التاريخية للأمازيغية، والتأكيد على أن تحديد الأصل اللغوي لا ينبغي أن يقوم على عنصر واحد معزول، بل على مجموعة من الأدلة المقارنة والتاريخية المتفاعلة.

2. الأمازيغية البدائية: الوحدة، التنوع، وإعادة البناء التاريخي

يرى إجماع الباحثين أن الأمازيغية البدائية تمثل السلف المشترك شبه الموحّد الذي تفرعت عنه اللغات الأمازيغية الحديثة. ومع ذلك، فإن المعطيات المقارنة في اللسانيات تشير إلى أن هذه اللغة لم تكن متجانسة تمامًا. إذ تُظهر بعض الخصائص الموجودة في اللغات الأمازيغية المعاصرة _ مثل تنوع صيغ الماضي في بعض أصناف الأفعال، واختلاف انعكاسات الصوامت التاريخية _ أنماطا يمكن ملاحظتها ليس فقط بين اللهجاتِ المتقاربة، بل حتى بين لهجات متباعدة. وبما أن هذه السمات مشتركة على نطاق واسع، فإن القول بأن كل لهجة اكتسبت هذه الخصائص بشكل مستقل في مرحلة لاحقة يظل ضعيف الأساس. والأرجح أن هذه الفروق كانت كامنة أصلا في الأمازيغية البدائية نفسها (Kossman, 1999, p. 20).

ومع ذلك، لا ينبغي المبالغة في تقدير درجة هذا التنوع الداخلي. فبحسب Kossmann (1999, p.20)، كانت الأمازيغية البدائية متجانسة في تطورها العام، وأن ما وُجد من اختلافات يظل محدودا، ولا يتجاوز ما يلاحظ في اللهجاتِ المتقاربة المعاصرة. ويمكن تفسير هذا القدر من التجانس على أساس افتراض أن الأمازيغية البدائية نشأت نتيجة تكوُّن كُوَيْنِي (koineization) من لهجاتٍ أقدم، غير أن الأدلة المتاحة لا تثبت هذا الافتراض ولا تنفيه. وإلى جانب الإشكالات المتعلقة بالبنية الداخلية للأمازيغية البدائية، تبرز أيضًا مسألة العمق الزمني لهذه الأسرةِ اللغوية. فقد أخفقت الدراسات التي حاولت تحديد تأريخ الأمازيغية البدائية بالاعتماد على منهج التأريخ اللغوي الإحصائي(glottochronology) ، وذلك بسبب كثافة الاقتراض المعجمي والاستبدال اللفظي في اللغات الأمازيغية، ولا سيّما بفعل الاتصال اللغوي بالعربية. وبما أن هذا المنهج يفترض ثباتاً نسبيا في معدلات احتفاظ المفردات، فإن تطبيقه على الأمازيغية يُفضي إلى نتائج غير موثوقة، ومن ثم تبقى محاولات تأريخها على هذا النحو غير حاسمة (Hart, 1976, p. 339).

وعلى وجه العموم، ظل تتبع التاريخ المبكر للغات الأمازيغية أمرا إشكاليا بسبب الطبيعة الناقصة والمجزأة للشواهد. فكثيرا ما يُنظر إلى سكان شمال أفريقيا القدماء _ الذين ورد ذكرهم في النصوص المصرية واليونانية _ بوصفهم أسلاف الناطقين بالأمازيغية اليوم، غير أن الأدلة لا تكفي لإثبات استمرارية لغوية متصلة (Kossmann, 1999). وتأتي أدلة أقوى من النقوش الليبية-البربرية العائدة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، والتي تظهر أوجه شبه واضحة مع اللغات الأمازيغية الحديثة. غير أن محدودية هذه النقوش من حيث العدد والنطاق تعيق الجزم بكونها تمثل صيغة أولية للأمازيغية أو لغة شقيقةً لها (Galand, 1988). ومع ذلك، فقد أسهمت دراسة هذه النقوش، إلى جانب تحليل أسماء الأعلام والأماكن القديمة في شمال أفريقيا، في ترسيخ الصلة بينها وبين الأمازيغية اللاحقة (Jongeling, 1984; 1994).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وفي الفترات اللاحقة، ولا سيما بعد انتشار الإسلام، غلب استعمال الأبجدية العربية على حساب الكتابات المحلية الأقدم التي استعملها الأمازيغ. وعلى الرغم من هذا التحول، فقد حفظت بعض النصوص القديمة بالأمازيغية، خصوصا بلهجة تاشلحيت. وتُعد هذه النصوص من أقدم ما وصلنا من الأدب المكتوبِ بالأمازيغية، وتوفر معطيات قيمة عن تاريخ هذه اللغات قبل توثيقها المنهجي (Boogert, 1997).

3. غياب الشواهد المعجمية ليس دليلًا على عدم الأصالة: حالة «*شلح*» في الأمازيغية

إن الادعاء بأن لفظة «*شلح*» ليست أصيلة في الأمازيغية استنادًا إلى غيابها من المدونات المعجمية للأمازيغية القديمة والحديثة لا يمكن اعتباره ادعاءً سليمًا من الناحية المنهجية، نظرا لاعتماده على حجة السكوت (*argumentum ex silentio*) في مدونات معجمية ناقصة وغير مستوفاة البحث. ففي الدراسات التاريخية للغة الأمازيغية، لا يجوز اعتبار غياب عنصر لغوي من معاجم منتقاة دليلًا على عدم أصالته، خاصة في ظل الطبيعة المجزأة لهذه اللغة، وما شهدته عبر الزمن من تحولات عميقة، وفقدان معجمي، وإعادة هيكلة لغوية (Kossmann, 2013; Galand, 2010).

وتتفاقم إشكالية هذا الطرح كذلك بسبب الخلط بين مفهومي «المعجم الذهني» و«القاموس». فالمعجم الذهني هو بناء نظري يشمل مجموع مفردات اللغة بكل أبعادها الدلالية والصوتية والتركيبية، في حين أن القاموس ليس إلا سجلًا خارجيًا انتقائيًا لهذه المفردات. وعلى خلاف القاموس، لا يُعد المعجم كيانًا قابلًا للملاحظة المباشرة، كما لا يوجد قاموس يمكنه الإحاطة بجميع مفردات اللغة (Crystal, 2008). ومن ثم، فإن غياب لفظة «*شلح*» من القواميس المعاصرة لا يعني بالضرورة أنها لم تكن موجودة أو لا تنتمي إلى المعجم الأمازيغي.

وتزداد أهمية هذا الاعتبار إذا أخذنا بعين الحسبان أن الأمازيغية كانت في الأساس لغة شفوية، وأن ظهور القواميس المكتوبة حديث نسبيًا، وهو ما يقتضي بالضرورة قدرًا من الانتقائية من طرف مؤلفيها. فكثير من المفردات قد تكون أهملت أو همشت أو اندثرت بفعل الاتصال اللغوي، أو تأثيرات التعريب، أو التباين اللهجي. كما أن مناهج إعداد القواميس تختلف؛ إذ قد يستبعد بعض الباحثين الألفاظ المختلف في أصلها الإيتمولوجي، في حين قد يتأثر آخرون باعتبارات أيديولوجية. وعليه، فإن حضور اللفظة في القواميس الحديثة أو غيابها لا يُعد معيارًا منهجيًا صالحًا للحكم على أصلها.

ومن منظور اللسانيات التاريخية، يُنظر إلى المعجم بوصفه نظامًا ديناميًا يتوسع وينكمش ويُعاد تشكيله باستمرار. ولا يشترط في اللفظة أن تعود إلى الأمازيغية الأم حتى تُعد أصيلة؛ إذ يمكن للابتكارات اللغوية اللاحقة والمصطلحات المستحدثة أن تكون أصيلة تمامًا إذا انسجمت مع الأنماط الصوتية والصرفية للأمازيغية. فإن المعيار الحاسم في إعادة البناء اللغوي ليس مجرد ورود اللفظة في قاموس، بل توفر أدلة مقارنة منهجية عبر اللهجات والمراحل التاريخية. ومن ثم، فإن غياب «*شلح*» من بعض المدونات المعجمية لا يكفي في حد

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ذاته لتبرير استبعاده من الموروث الأمازيغي، إذ ينطوي مثل هذا الاستدلال على مغالطة الاحتجاج بالسكوت، حيث إن غياب اللفظة في مدونات محدودة لا يشكل دليلًا إيجابيًا على عدم وجودها أو على أصلها الخارجي.

وعلاوة على ذلك، فإن رفض التسمية الإثنية أو إعادة تأويلها استنادًا إلى افتراضات حول أصول قدحية مزعومة في لغات أخرى يقتضي قدرًا كبيرًا من الحذر. على سبيل المثال، فقد شهد مصطلح "*عبري*" «*Hebrew*» نقاشًا علميًا واسعًا، بما في ذلك فرضيات تربطه بتسميات اجتماعية مثل *Ḫabiru/ʿApiru* ، التي وصفت بأنها تحيل في النصوص المصرية والأكادية القديمة إلى فئات مهمشة اقتصاديًا واجتماعيًا (العبيد، قطاع الطرق، عديمو الأرض، الخارجون عن القانون) (Greenberg, 1955; Römer, 2015). غير أن هذه الفرضيات لا تُعد اليوم حقائق محسومة، كما أن مصطلح «*Hebrew*» قد ترسخ بوصفه تسمية إثنية في التقليد الإسرائيلي القديم، واستخدم لاحقًا في تشكيل الهويات الحديثة، خصوصا مع ظهور الصهيونية (Fellman, 1973; van der Toorn et al., 1999). وتؤكد الدراسات اللغوية والتاريخية المعاصرة عدم صحة الربط التبسيطي بين التسميات الإثنية والتوصيفات الاجتماعية أو الاقتصادية (Rainey, 2008).

وبالقياس إلى ذلك، لا ينبغي تقييم وضع لفظة «*شلح*» على أساس غيابها من القواميس الحديثة، ولا بناء على افتراضات مستمدة من نماذج ناقصة. بل ينبغي أن يستند تحديد وضعها اللغوي إلى الأدلة اللسانية التاريخية المنهجية، لا إلى مغالطة الاحتجاج بالسكوت أو إلى انتقائية المدونات المعجمية. كما يجدر التأكيد على أن سلطة تحديد التسميات الإثنية وتصنيفها، مثل «*شلح*»، تعود في المقام الأول إلى الجماعة اللغوية نفسها، لا إلى القواميس.

4. إعادة النظر في أصول لفظ *أشلحي*: ضد الخلط بين التشابه الصرفي والأصل المعجمي

من الأخطاء الشائعة التي تتكرر عند مناقشة الاسم الإثني *أشلحي* هو افتراض أن اللاحقة -*ي* ذات أصل عربي، ومن ثم اعتبار الصيغة برمتها مشتقة من الصرف العربي. غير أن هذا المنهج في تناول المسألة غير سليم من الناحية المنهجية، إذ يخلط بين التشابه اللغوي السطحي والأصل الاشتقاقي، ويتجاهل مبادئ الاتصال اللغوي واللسانيات التاريخية.

ويزداد ضعف هذا الافتراض إذا ما أُخذ بعين الاعتبار أن التأثير الصرفي العربي لا يقدم دليلاً كافياً لإعادة إسناد الأصل المعجمي. فوفقاً لعلم اللغة الاتصالي، فإن الاندماج البنيوي عبر التكيّف المورفولوجي لا يغير الأصل التاريخي للمفردات (Thomason & Kaufman, 1988; Matras, 2009). وبعبارة أخرى، قد تتبنّى الكلمة أنماطاً مورفولوجية أجنبية مع احتفاظها بهويتها الإيتيمولوجية الأصلية. ويمكن ملاحظة وضع مماثل في السياقين العربي والأمازيغي؛ إذ يشير المتحدثون بالعربية ،على سبيل المثال، إلى الأمريكي بلفظ *أمريكي*، في حين يستعمل المتحدثون بالأمازيغية صيغة *أمِرِكانِي*، حيث يُدمج المرجع اللغوي نفسه بطرائق مختلفة تبعاً للنظام المورفولوجي للغة المستقبلة. وضمن المورفولوجية الأمازيغية، يبيّن Kossmann (2013) أن البنى الاسمية التي تتضمن السابقة*أ*- والعنصر اللاحقي -*ي* تنسجم مع أنماط مورفولوجية أمازيغية موروثة. وعلى وجه الخصوص، فإن الدخيل العربي في الأمازيغية يُدمج بانتظام ضمن قوالب

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

اسمية أمازيغية سابقة الوجود، بدلاً من أن يحل محلّها. وهذا يدعم الطرح القائل إن الطبيعة البنيوية لصيغ مثل *أشلحي* لا يمكن ردها واختزالها في اشتقاق عربي محض.

ومن منظور مورفولوجي، فإن البنية *اُفعُلِي* التي يُحلَّل على أساسها لفظ *أشلحي* تثير إشكالاً أيضاً إذا نُسبت إلى أصل عربي. فالعربية لا تُولد عادةً صيغاً اسمية على نمط إنتاجي من قبيل *اُفعُلِي* مع عنقود صامت داخلي قائم على تتابع ساكنين (وزنا كلمتي *أشلحي* و*شلح* ممتنعين في النظام الصوتي العربي نظراً لتشكيلهما عناقيد صامتة ابتدائية وداخلية تتنافى قوانين المقطع الصوتي العربي). إن وجود مثل هذا التراص الصامت في هذا التكوين لا ينسجم مع القوالب الصرفية العربية القياسية، التي تتطلب عادةً إدخال حركات لتلبية القيود الصوتية. ومن ثم، فإن مثل هذه الصيغ تُفسَّر على نحو أرجح بوصفها انعكاساً لبنية صرفية أمازيغية، لا اشتقاقاً عربياً مباشراً. وحتى إذا افترضنا أن اللاحقة -*ي* في *أشلحي* تمثل ياء النسبة في العربية، فإن ذلك وحده لا يكفي لتحديد أصل الكلمة بأكملها؛ فمع أن -*ي* لاحقة نسبة منتجة في العربية (كما في: روم ⟶ رومي)، فإن إلحاقها بجذر ما لا يعني أن هذا الجذر عربي الأصل. وينطبق هذا على *أشلحي* أيضاً، إذ إن استعمال لاحقة النسبة لا يمحو الهوية التاريخية للجذر المعجمي.

ومن المهم كذلك التمييز بين التأثير المورفولوجي والأصل المعجمي، نظراً إلى التفاعل الطويل والمكثّف بين العربية والأمازيغية. فقد وُجدت حالات كثيرة أصبحت فيها كلمات ذات أصل عربي جزءاً من الأمازيغية؛ فعلى سبيل المثال، تُقابَل كلمة *صلاة* في العربية بصيغة *تازاليت* في الأمازيغية، غير أن ذلك لا يغير وضعها الإيتيمولوجي بوصفها لفظاً دخيلاً من العربية. وبناء على ذلك، فإن استنتاج الأصل المعجمي اعتماداً على مجرد وجود أنماط مورفولوجية ذات منشأ عربي يُعد استنتاجاً غير سليم من الناحية المنهجية. فالمفردة الأمازيغية التي خضعت لتأثير بنيوي من المورفولوجية العربية لا تفقد بذلك أصلها التاريخي الأمازيغي؛ كما أن الألفاظ ذات الأصل الأمازيغي تظل أمازيغية من حيث الإيتيمولوجية، حتى وإن اندمجت اندماجاً كاملاً في أنظمة مورفولوجية عربية.

5. إعادة النظر في الصامت /ح/ في الأمازيغية: القيود المنهجية، وديناميات الاتصالِ اللغوي، وحدود إعادة البناء الصوتي

1.5. إشكالات منهجية في إعادة بناء الأمازيغية البدائية: إعادة تقييم استبعادِ الصامت البلعومي /ح/

في اللسانيات الأمازيغية، تتميز الأعمال الاستعمارية المبكرة في مجال اللهجات بطابع وصفي تزامني (synchronic)، إذ تركز عادةً على دراسة لهجة منفردة بدل إجراء مقارنة تاريخية منهجية عبر السلسلة الأمازيغية ككل. ويُعد هذا النطاق الضيق للأبحاث الاستعمارية أحد المصادر الرئيسية لانتقاد أحمد بوكوس لهذه الأعمال وتصنيفها ضمن مجال "علم اللهجات" (dialectology) وليس ضمن اللسانيات التاريخية المقارنة (Boukous, 2016). ولا يقتصر هذا القصور على الجانب المنهجي فحسب، بل له تداعيات أوسع، إذ يؤدي إلى تعميمات مفرطة انطلاقًا من بيانات جزئية وغير كافية، كما يحجب التباين التعاقبي (diachronic) داخل المجال اللغوي الأمازيغي.

أشار أحد أساتذة اللسانيات في المغرب، عبد الله الحلوي من جامعة القاضي عياض، بثقة مفرطة إلى أن الفونيم الحلقي /ح/ لم يكن موجودًا في اللغة الأمازيغية البدائية (Proto-Berber). ويبدو أن هذا الافتراض يستند ضمنيًا إلى النموذج الصوتي الأمازيغي العام (Pan-Berber) الذي قدّمه أندري باسيت في منتصف القرن العشرين (Basset, 1945–48, pp. 33–36). غير أن هذا الافتراض يعاني من

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

إشكال جوهري، ليس فقط لأنه يتعامل مع النظام الصوتي الذي قدمه باسيت وكأنه جرد تاريخي مكتمل، بل لأنه يخلط أيضًا بين مستويين تحليليين مختلفين، هما: الصوتيات الأمازيغية العامة (Pan-Berber phonology) وإعادة بناء الأمازيغية البدائية (Proto-Berber reconstruction).

إن نموذج باسيت الأمازيغي العام هو في جوهره اختيار وصفي تجريدي تزامني، لا يهدف إلى إعادة بناء الأمازيغية البدائية، بل إلى إبراز السمات الصوتية المشتركة بين اللغات الأمازيغية كما هي موجودة في وضعها الراهن. وبالتالي، فإن هذا النموذج، الذي لا يمثل بشكل شامل جميع المعطيات الصوتية الموثقة، يغفل بعض العناصر الصوتية في اللغات الأمازيغية، ولا سيما الصامت البلعومي/ح/، رغم وجود هذا الصامت في عدد من اللهجات/ اللغات الأمازيغية الحديثة (Kossmann, 1999). ومن ثم، فإن اعتماد واعتبار النموذج الصوتي الأمازيغي العام نظامًا شاملًا قادرًا على وصف اللغات الأمازيغية الحديثة أو الأمازيغية البدائية بدقة يُعدّ خطأً منهجيًا.

وتتفاقم هذه الإشكالية بسبب الخلط بين مفهومي "الأمازيغية البدائية" و"الأمازيغية العامة". فالأمازيغية البدائية هي لغة سلفية يتم إعادة بنائها عبر المنهج المقارن، وهو ما يستلزم بالضرورة درجة من الافتراض والاستدلال الاحتمالي والحذر المنهجي. أما الأمازيغية العامة (Pan-Berber)، فهي تجريد وصفي للسمات اللغوية الغالبة في اللغات الأمازيغية المعاصرة، وقد طُوِّرت في الأصل لتسهيل المقارنة، وأصبحت تُستعمل لاحقًا في سياقات مرتبطة بالتوحيد اللغوي (Kossmann, 1999). إن استنتاج خصائص خاصة بالأمازيغية البدائية اعتمادًا على هذه التجريدات الوصفية يؤدي إلى أحكام تاريخية ولغوية مفرطة في اليقين تتجاوز حدود المعطيات المتوفرة.

وفيما يتعلق بإعادة بناء الأمازيغية البدائية، تجدر الإشارة إلى أن وضع الصوامت الحلقية، سواء كانت بلعومية (pharyngeal) أو حنجرية (laryngeal)، لا يزال غير محسوم في معظم النماذج التفسيرية. ورغم أن غالبية الدراسات الحديثة لا تعيد بناء الصامت/ح/، فإن ذلك لا يعني إنكار وجود أصوات بلعومية أو حنجرية بشكل عام. بل إن محاولات سابقة في إعادة البناء، مثل اقتراح برّاس (Prasse) لوجود صوت حلقي/حنجري ممثل بالحرف H في مرحلة ما قبل الأمازيغية البدائية، تشير إلى أهمية هذه الفئة من الأصوات في المراحل الأقدم من الأمازيغية (Prasse, 1969; 1972-1974). كما تؤكد عمليات إعادة البناء اللغوي الأحدث عدم اليقين واستمرار الغموض بشأن الخصائص الصوتية الدقيقة لهذه الصوامت (Kossmann, 2020a; 2020b).

وفي مثل هذه الحالات، يصبح من الأجدر توجيه الانتباه إلى معطيات اللهجات المحافظة والمهمشة جغرافيًا. فقد أظهرت أبحاث تين-شيخ (Taine-Cheikh, 2000) وكوسمان (Kossmann, 1999; 2020b) أن الزناكة وغيرها من المتغيرات اللغوية الطرفية الأخرى تحتفظ بخصائص صوتية قديمة، مثل استعمال الصوامت الحنجرية المركبة، مما يفتح إمكانية إعادة تصور بنية حلقية أكثر تعقيدًا في الأمازيغية البدائية. ورغم أن هذه المعطيات غير كافية لإثبات وجود /ح/ بشكل قطعي في الأمازيغية البدائية، إلا أنها تتحدى الافتراض القائل بغياب هذا الصامت. ويؤدي تجاهل هذا النوع من البيانات إلى تعميق الإشكال المرتبط بموقع /ح/ في الأمازيغية البدائية، خاصة بسبب توزيعه غير المنتظم. فقد يكون هذا الصامت محصورًا في بعض المجتمعات اللغوية الطرفية حيث لم يعد منتجًا من الناحية

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الصرفية. يجدر التنبيه إلى أن اللهجات الريفية غالبا ما تحتفظ بأشكال لغوية أقدم بكثير من نظيراتها في اللغة المعيارية (Versteegh, 2014). وبالتالي، فإن انخفاض تواتره وتوزيعه غير المتجانس لا يعني غيابه التاريخي، بل يمكن تفسيره على أنه نتيجة تراجع أو اندماج أو تهميش صوتي في اللهجات المركزية.

وعلى الرغم من أن العديد من حالات ظهور /ح/ في الأمازيغية قد تكون نتيجة تأثير عربي، فإن هذه ليست الصورة الكاملة. إذ يشير كوسمان (Kossmann, 1999) إلى مجموعة من الألفاظ في الأمازيغية التي تحتوي على /ح/ دون مقابل واضح في العربية، ويبدو أنها ذات أصل أمازيغي داخلي. ومن بين هذه الألفاظ نجد كلمة *حند* في لهجة فيگيگ والتي تعني "لفّ الرضيع" و كلمة *أشحشوح* و التي تعني "شعر طويل غير ممشوط" وكذلك كلمة *حلوليد* بمعنى ان"يصبح هلاميًا". وفي اللهجة القبيلية نجد كلمة *حبروريش* والتي تعني "التكتل إلى كرات صغيرة" وكذلك *حلوشد* و*حنوشد* اللتان تفيدان معنى "ينزلق". ويوجد لفظ مماثل في اللهجة الصنهاجية وتاشلحيت (*حلوشد* أو *حلوشيد*) يحمل نفس المعنى "ينزلق" (Kossmann, 1999, p. 246). إن وجود هذا الصامت في عدة تنوعات لغوية يضعف أي محاولة لتقليصه إلى عنصر فونولوجي هامشي أو مستعار.

ومن منظور لساني تاريخي، فإن وجود مجموعة محدودة ولكن منتظمة من التقابلات اللغوية يمكن أن يكون كافيًا لتحدي أو حتى نقض الافتراض القائل بغياب /ح/ في الأمازيغية البدائية. وبما أنه من غير الممكن للمعطيات الحالية أن تقدم إعادة بناء قطعية لهذا الصامت، فإن غياب الأدلة الكافية لا يثبت غيابه، بل يضعف فقط الادعاءات التي تؤكد هذا الغياب بشكل قاطع. ومن ثم، فإن الموقف العلمي السليم في هذه الحالة هو تبني درجة من اللاتعيّن الجزئي (partial indeterminacy) في مسألة الصوامت البلعومية في الأمازيغية البدائية.

علاوة على ذلك، فإن مسألة وجود /ح/ في الأمازيغية البدائية ليست مسألة دحض تجريبي مباشر بقدر ما هي اختلاف في المقاربات المنهجية واختيار المعطيات وتفسيرها. إذ تتوقف المعايير والأحكام في هذه المسألة على ما إذا كان الباحثون يعتبرون المعطيات اللغوية الطرفية منخفضة التواتر ذات قيمة تاريخية أو مجرد ضوضاء هامشية. وأيًا كانت النتائج، فإن اليقين المفرط غير مبرر منهجيًا. كما أن الاعتماد على نماذج أمازيغية عامة غير مكتملة قد أدى إلى ظهور ادعاءات غير مدعومة، مثل القول بأن كلمة *شلح* ليست ذات أصل أمازيغي، وهو استنتاج يعتمد على نماذج تتجاهل بالفعل المعطيات الصوتية والمعجمية الهامشية. إن بناء استنتاجات على نماذج انتقائية غير مكتملة يمثل ممارسة دائرية من الناحية المنهجية.

وخلاصة القول، فإن رفض الطابع الوراثي للصامت /ح/ في الأمازيغية البدائية ليس حقيقة مثبتة بقدر ما هو نتيجة لثلاثة عوامل مترابطة: (1) الاعتماد غير المبرر على نموذج أمازيغي عام غير مكتمل؛ (2) الخلط بين النماذج الوصفية التزامنية وإعادة البناء التاريخي (التعاقبي)؛ و(3) التمثيل غير الكافي للأشكال اللهجية القديمة أو الواقعة على هامش النظام الصوتي. إن القراءة الحذرة للمعطيات،

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بما يتماشى مع مبادئ اللسانيات التاريخية، تفترض أن إعادة بناء الأمازيغية البدائية تظل بطبيعتها مؤقتة وقابلة للمراجعة مع ظهور معطيات وتحليلات جديدة.

2.5. ما وراء الاقتراض: المعجم الأمازيغي الأصيل في ظل التأثيرات العربية

لا شكّ في أن فترة التفاعل الطويلة بين العربية واللغات الأمازيغية قد أدت إلى نشوء رصيد معجمي مشترك معتبر، مع ظهور مستويات متراكبة من التأثير العربي في اللهجات الأمازيغية (Souag, 2009, 2013). وقد كان للتأثير الصوتي أثر بالغ الأهمية. إذ تُظهر الأوصاف الكلاسيكية للنظام الصوامتي في اللغات الأمازيغية (مثل Basset, 1952-1969; Prasse, 1972-1974) التمييز بين الصوامت المشدّدة وغير المشدّدة، مع مراعاة التباين الناتج عن الاحتكاك اللغوي مع لغات أخرى. ويشمل هذا التباين تكييف بعض الأصوات الجديدة المقترضة من العربية، ولا سيما الأصوات البلعومية، إضافة إلى بعض التحولات الداخلية مثل التحنيك (palatalization) والتدوير الشفوي-الحنكي (labio-velarization)، وكذلك ظاهرة التحويل الاحتكاكي (spirantization) في اللهجات الشمالية.

ومن المهم التنبيه إلى أن كل انحراف صوتي عن أنماط الأمازيغية البدائية لا يُعزى بالضرورة إلى الاقتراض اللغوي، إذ توجد عمليات لغوية متعددة _ مثل الإدغام (dissimilation)، والقلب المكاني (metathesis)، والرمزية الصوتية _ قد تُنتج أنماطًا صوتية تختلف عن الأشكال الصوتية المتوقعة (Kossmann, 1999). وقد تتضمن هذه العمليات أحيانًا مواد صوتية دخلت اللغة عبر الاحتكاك اللغوي، مما يُسهم في طمس الحدّ الفاصل بين ما هو مُقترض وما هو مُولَّد داخليًا.

ومن أمثلة ذلك الصامت البلعومي /ح/. فعلى الرغم من أنه من المتفق عليه أن معظم الكلمات الأمازيغية التي تتضمن هذا الفونيم تعكس تأثيرًا عربيًا، إلا أن هذا لا يصح على جميع الحالات. فقد أشار كوسمان (Kossmann, 1999) إلى وجود عدد من الكلمات الأمازيغية التي تحتوي على الصامت البلعومي /ح/ ولا تعود من حيث الأصل الإيتيمولوجي إلى العربية. ومن بين هذه الألفاظ نجد كلمة *حند* في لهجة فيگيگ والتي تعني "لفّ الرضيع" و كلمة *أشحشوح* و التي تعني "شعر طويل غير ممشوط" وكذلك كلمة *حلوليد* بمعنى ان"يصبح هلاميًا". وفي اللهجة القبيلية نجد كلمة *حبروريش* والتي تعني "التكتل إلى كرات صغيرة" وكذلك *حلوشد* و*حنوشد* اللتان تفيدان معنى "ينزلق". ويوجد لفظ مماثل في اللهجة الصنهاجية وتاشلحيت (*حلوشد* أو *حلوشيد*) يحمل نفس المعنى "ينزلق". وتترتب على هذه الأمثلة نتائج نظرية مهمة. أولها أن ظهور الفونيم /ح/ في كلمة أمازيغية لا يعني بالضرورة أن أصل الكلمة عربي. وثانيها أن الفونيم، حتى بعد دخوله إلى لغة ما _ سواء عبر الاحتكاك أو التطور الداخلي _ يمكن أن يندمج في النظام الصوتي ويشارك بشكل فعال في توليد ألفاظ أصيلة، مما يعني أن الكلمات المستحدثة التي تستعمل هذا الفونيم لا تُصنَّف بالضرورة بوصفها ألفاظا دخيلة.

إن المعطيات اللغوية في هذا القسم لا تقتصر على تحدّي الافتراض القائل بعدم وجود الصامت /ح/ في الأمازيغية البدائية، بل تُضعف أيضًا القول بأن الوحدات المعجمية الأمازيغية التي تحتوي على هذا الصامت ذات أصل عربي بالضرورة، إذ إن التأثير المورفولوجي أو الفونولوجي لا يحدّد وحده الأصل الإيتيمولوجي. وبناء على ذلك، فإن القول بأن كلمة *شلح* أو *أشلحي* ليست من أصل أمازيغي لمجرد احتوائها على الصامت /ح/ لا يقوم على أساس منهجي سليم. فالبنية الصوتية وحدها _ وخاصة عندما تتضمن صامتًا ثبت اندماجه في الأمازيغية واستُخدم في التوليد المعجمي الداخلي _ لا تُقدّم دليلًا حاسمًا على الاقتراض.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

3.5. من الصامت الحنجري /ʜ/ إلى الصامت البلعومي /ħ/: تطور محتمل عن الاحتكاك اللغوي

يُطرح في كثير من الأحيان أن الأمازيغية البدائية (Proto-Berber) لم تكن تتضمن الصامت البلعومي /ħ/. غير أن هذا الموقف ليس محل إجماع. فقد اقترح براس (Prasse, 1969)، في إطار إعادة بنائه للفونولوجيا التاريخية للغات الطوارقية، وجود الصامت الاحتكاكي الحنجري /ʜ/ في الأمازيغية البدائية. ويُتيح هذا الافتراض إمكان تفسير التطورات اللاحقة التي مست هذا الصامت بوصفها عاملاً محتملاً في ظهور الفونيم /ħ/ في عدد من اللهجات الأمازيغية الحديثة.

ومن الجدير بالذكر أن ظهور الفونيم /ħ/ في المعجم الأمازيغي في شمال إفريقيا _ ولا سيما في عناصر لغوية يمكن تحديد أصلها الأمازيغي _ يشير إلى أن هذا الصامت لا يمكن ردّه حصريًا إلى الاقتراض المباشر من العربية. ومن التفسيرات الممكنة في هذا السياق أن الصامت الحنجري الأقدم /ʜ/ قد شهد انتقالًا صوتيًا نحو الخلف ليصبح صامتًا بلعومياً مُهموسًا /ħ/ تحت تأثير الاحتكاك اللغوي المستمر بالعربية. ويتّسق هذا التطور مع نمط التأثير الصوتي الناتج عن الاحتكاك اللغوي، حيث تقوم اللغة بإعادة تكييف أصواتها القائمة باتجاه أصوات موجودة في لغة مهيمنة أو مجاورة. وفي السياق نفسه، يشير براس (Prasse, 1972-1974) إلى أن الدراسات المقارنة الأوسع نطاقا _ ولاسيما بين البروتو-أمازيغية والبروتو-سامية _ قد تشير إلى احتمال وجود صوامت بلعومية في مرحلة أعمق تسبق الأمازيغية البدئية، مما يجعل الوضع التاريخي للصامت /ħ/ مسألة غير محسومة إلى حدّ الآن.

ولا شك أن فترة التفاعل الطويلة بين العربية واللغات الأمازيغية قد أسفرت عن رصيد معجمي مشترك معتبر، مع تراكب مستويات متعددة من التأثير العربي في اللهجات الأمازيغية (Souag, 2009; 2013). وقد أشار كل من كوسمان (Kossmann, 1999) وبراس (Prasse, 1969) إلى أن الطوارقية هي اللهجة الأمازيغية الوحيدة التي تخلو من الصامت البلعومي /ħ/. ويُعزى ذلك، وفقًا لما يذكره أحمد شفيق (1996)، إلى عزلتها الجغرافية النسبية عن مناطق التأثير العربي. في المقابل، فإن اللهجات الأمازيغية الشمالية التي شهدت احتكاكًا مكثفًا بالعربية تُظهر وجود كلٍّ من الصامت الحنجري /ʜ/ والصامت البلعومي /ħ/ (Prasse, 1972-1974).

وفي هذا الإطار، يمكن إعادة النظر في كلمة *شلح*؛ فبدل تصنيف هذا اللفظ على أنه غير أمازيغي أو مقترض لمجرّد احتوائه على الصامت /ħ/، يمكن كذلك افتراض أن الصيغة الحالية التي تتضمن /ħ/ قد تطورت من صيغة أقدم كانت تحتوي على الصامت الحنجري /ʜ/ (*شله* عوض *شلح*). وفي هذا السيناريو، فإن الاختلاف الصوتي لا يدل على تغير في الأصل المعجمي، بل يعكس تحولًا صوتيًا ناتجًا عن الاحتكاك اللغوي. ويتسق هذا التفسير مع النتائج العامة التي تُبيّن أن تأثير العربية في الأمازيغية لم يقتصر على الاقتراض المعجمي المباشر، بل شمل أيضًا إعادة تشكيل صوتي على مستوى البنية الفونولوجية.

4.5. الإسقاط الصوتي الرجعي في الأمازيغية: تداعياته على التحليل الإيتيمولوجي

يُعَدّ الاعتماد حصراً على النظام الفونولوجي لمرحلة سلفيّة أقدم، مثل الأمازيغية البدائية (Proto-Berber)، في تحديد أصالة الوحدات المعجمية في لغة حديثة (كالأمازيغية الحديثة)، مغالطة منهجية .فمثل هذا المنهج غير موثوق، لأن اللغات ليست أنظمة ساكنة؛ بل تخضع عبر الزمن لتغيرات صوتية منتظمة، وإعادة هيكلة للفونيمات، وإعادة تنظيم صوتي ناجمة عن الاحتكاك اللغوي. ونتيجة لذلك،

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

قد تكتسب المفردات الموروثة أشكالا صوتية لم تعد تتوافق مع القيود المعاد بناؤها للغة الأم، فيساء تأويلها على أنها "دخيلة" إذا ما قيمت من خلال منظور صوتي متقادم.

ويُظهر تاريخ اللغة الإنجليزية مثالاً موازياً يوضح ذلك بجلاء. إذ يعاد بناء اللغة الجرمانية البدائية عادة على أساس وجود فونيم واحد هو/f/، وفي الإنجليزية القديمة كان /f/ و /v/ يتناوبان بوصفهما ألوفونين موضعيين لفونيمٍ واحد، حيث يظهر /v/ في الموقع البيني للصوائت (Hogg, 1992; Ringe & Taylor, 2014; Kroonen, 2013). ويتضح ذلك من صيغ مثل *ofer* في الإنجليزية القديمة، التي اشتقت منها تاريخياً كلمة *over* في الإنجليزية الحديثة. غير أن الإنجليزية الحديثة تمتلك فونيم /v/ بوصفه وحدة صوتية مستقلة، إلا أن وجود هذا الفونيم لا يعني أن الكلمات التي تحتوي عليه كلمات دخيلة. بل على العكس، نشأ الفونيم /v/ نتيجة عمليات صوتية طبيعية، مثل الجهر بين الصوائت، تلاه انقسام فونيمي تحول فيه التباين الألوفوني السابق إلى تباين فونيمي مميزٍ. ومع مرور الزمن، تحول /f/ تحولاً منهجياً إلى /v/ في بيئات صوتية محددة، ولا سيما في الموقع البيني للصوائت (Hogg, 1992). وإضافة إلى ذلك، لم تقتصر التغيرات العامة في النظام الفونولوجي للإنجليزية على التطور الداخلي، بل تأثرت أيضاً بعوامل خارجية، من قبيل الغزو النورماني سنة 1066، الذي أثر في مرحلة الإنجليزية الوسطى (Lass, 1992). وهذا كله يدل على أن الأنظمة الصوتية دينامية، وأن الجرد الصوتي قد يشهد تحولات كبيرة دون أن يؤثر ذلك في تصنيف المفردات الموروثة.

وتترتب على ذلك دلالات منهجية مهمة. فوجود فونيم معين في صيغة حديثة لا يمكن، في حدّ ذاته، أن يُتخذ دليلاً على عدم الأصالة اللغوية. بل ينبغي تحديد الأصل المعجمي من خلال إعادة البناء التاريخي للتغيّر الصوتي، والأنماط المورفولوجية، والمعطيات المقارنة بين اللغات أو اللهجات ذات الصلة. وبعبارة أخرى، لا يمكن تقويم الأصالة اللغوية بإسقاط قيود مرحلة لغوية قديمة على نظام حديث؛ وإنما يجب تحديدها في ضوء الواقع الفونولوجي للغة في المرحلة قيد التحليل. وتطبيقاً على الأمازيغية، لا يستقيم افتراض أن كلمات مثل *أشلحي*، *أحيدوس*، *وأحواش* غير أمازيغية الأصل لمجرد احتوائها على الصامت البلعومي /ح/. وكما أن الكلمات الإنجليزية الحديثة التي تحتوي على الفونيم /v/ لا يمكن استبعاد أصالتها لمجرد أن اللغة الجرمانية البدائية لم تكن تحتوي على هذا الفونيم، فإن تقويم العناصر المعجمية في الأمازيغية يجب أن يتم في ضوء نظامها الفونولوجي المتطور تاريخياً، لا في ضوء الجرد المعاد بناؤه للأمازيغية البدائية وحده.

6. الأسماء الإثنية والأسماء الخارجية: مسألة الأصالة اللغوية في الأمازيغية

ثمة افتراض شائع مفاده أن الاسم الإثني *شلح* لا يمكن اعتباره أصيلاً في الأمازيغية، استناداً إلى أن الصامت /ح/ لا يُعاد بناؤه في الأمازيغية البدائية. غير أن هذا الاستدلال ينطوي على خلط بين إعادة البناء الفونولوجي التاريخي من جهة، والعمليات السوسيولسانية الفعلية التي تتشكل من خلالها الأسماء الإثنية وتتطور من جهة أخرى. فالواقع أن كثيراً من الأسماء الإثنية لا تمثل امتداداً مباشراً لجذور أمازيغية بدائية، بل هي تكوينات لاحقة تشكلت ضمن أنماط الفونولوجيا المورفولوجيا في الأمازيغية. وعلى سبيل المثال، فإن لفظ *إحاحان*، الذي يطلق على اتحاد قبلي أمازيغي قديم على الساحل الأطلسي بين أكادير والصويرة، مندمج اندماجاً كاملاً في البنية اللغوية الأمازيغية. ورغم إخضاعه أحياناً لتأويلات إيتيمولوجية شعبية خارجية، من بينها ربطه بالفعل العربي حِيحَ بمعنى صوت المتألم من حزن أو غيظ (ابن منظور، 1882)، فإن مثل هذه التأويلات تظل افتراضية ولا تعكس بالضرورة اشتقاقاً تاريخياً حقيقياً.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وعلى نحو أعم، فإن الأسماء الإثنية لا تنشأ دائماً عن جذور موروثة موغلة في القدم؛ إذ قد تتولد أيضاً عبر عمليات تسمية لاحقة تظل منسجمة بنيوياً مع اللغة التي تستوعبها. ومن المهم التنبيه إلى أنه حتى حين تنشأ هذه الأسماء بوصفها تسميات خارجية (exonyms) ، فإنها لا تحمل بالضرورة دلالات سلبية، ولا تبقى بالضرورة غريبة في بنيتها. وتوضح حالة *الطوارق (Tuareg)* ذلك بجلاء. فمصطلح *الطوارق* يُعد تسمية خارجية، حتى وإن أمكن رد اشتقاقه إلى جذور أمازيغية، لأنه لم يُعتمد بوصفه تسمية ذاتية، بل أطلقه العرب على هذه الجماعة. وغالباً ما يربط هذا الاسم بلفظ *تارگا*، وهو طوبونيم أمازيغي يشير إلى منطقة فزان في ليبيا، وهو بدوره مشتق من جذر أمازيغي يدل على "القناة" أو "الوادي" (Béguinot & Mordini, 1937). ويُبين هذا أن الأسماء الخارجية التي تطلق على جماعة معينة قد تكون متجذرة في مادة لغوية محلية، ولا يلزم أن تحمل دلالة سلبية.

ويثير هذا إشكالاً مهماً يتعلق بكيفية نشوء الأسماء الإثنية واستمرارها أو استبدالها عبر الزمن. ويُعد الاستمرار الطويل لاستعمال اسم *أشلحي* لدى الناطقين بالأمازيغية نقطة جديرة بالاعتبار؛ إذ يُفترض أنه لو كان هذا الاسم معروفاً على نطاق واسع بوصفه لفظاً دخيلاً ذا دلالة قدحية، لكان قد تراجع تدريجياً وحل محله اسم آخر. ومع ذلك، فقد طُرحت بعض الفرضيات حول الدلالة الداخلية لهذا اللفظ، من بينها ربطه بكلمة *أشلوح* بمعنى "كوخ" أو "المسكن البسيط"(Alaoui, 1978)، غير أن هذه الفرضية تظل محل نقاش. وفي المقابل، فإن تسميات ذات طابع ازدرائي واضح، مثل *بربر*، لم تُحافظ عليها الجماعات الأمازيغية بوصفها تسمية ذاتية، مما يدل على قدرة المجتمعات على رفض الأسماء التي تُدركها بوصفها مهينة.

وفي هذا السياق، يصعب القول إن الناطقين بالأمازيغية قد حافظوا تاريخياً على اسم *أشلحي* دون أي وعي بدلالاته وإيحاءاته. رغم أن افتراض الشفافية الإيتيمولوجية الكاملة عبر قرون طويلة يُعد إشكالاً منهجياً، فإن من المضلل كذلك تصوير الجماعات التاريخية بوصفها متلقياً سلبياً لتسميات خارجية قدحية. ولعل النفور المعاصر من هذا الاسم لا يعدو أن يكون نتيجة لخطاب الحركة الأمازيغية التي تسعى إلى توحيد الجميع إيديولوجياً تحت مسمى *أمازيغ*؛ وهو لفظ ينبغي فهم معناه (الحر/النبيل) في إطار عملية إعادة دلالة حديثة، لا بوصفه اشتقاقاً تاريخياً أصيلاً (Chaker, 2022).

ويمكن ملاحظة عمليات مماثلة في سياقات أخرى. فبين الشعوب الأصلية في مناطق القطب الشمالي بأمريكا الشمالية وغرينلاند، حلّ الاسم الذاتي *Inuit* (*إنويت* بمعنى "الناس") إلى حد كبير محلّ التسمية الخارجية *إسكيمو* (*Eskimo*)، التي يُنظر إليها على نطاق واسع بوصفها مهينة، وقد ارتبطت تاريخياً بمعنى "آكلي اللحم النيء" (Council & Williamson, 2026). وتُظهر هذه الحالة أن المجتمعات قد تتبنى و تحافظ على الأسماء الإثنية أو ترفضها تبعاً للظروف الاجتماعية والتاريخية. وتبين هذه الأمثلة أن بقاء الاسم الإثني عبر الزمن يرتبط بمدى انتشاره التاريخي، وبتكريسه مؤسسياً، وكذلك بقابلية دلالته للقبول أو الرفض من قبل المجتمعات اللغوية.

7. الشفافية الإملائية: إعادة النظر في ادعاءات "البراعة" في الأمازيغية

من الشائع في النقاشات غير المتخصصة الادعاء بأن النظام الإملائي للأمازيغية يتميز بدرجة استثنائية من "البراعة" أو الشفافية، استناداً إلى فكرة مفادها أنه "يُكتب كما يُنطق". وقد ذهب بعض المختصين في اللسانيات، مثل عبد الله الحلوي، إلى تبني هذا الرأي أيضا. وغالباً ما يُعزَّز هذا التصور من خلال المقارنة مع لغات مثل اللغة الإنجليزية ، التي تُعرف بأن نظامها الإملائي أقل شفافية. غير

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

أن هذا النوع من المقارنات يقوم على استدلال استقرائي مبسط، يركّز على خاصية واحدة (الشفافية) دون أن يأخذ بعين الاعتبار التعقيدات التاريخية والبنيوية التي تشكل أنظمة الكتابة في لغات العالم.

ويمكن تعزيز نقد هذا التصور بالإشارة إلى ضعف الوعي العام بالتطور التاريخي (التعاقبي) للإملاء الإنجليزي. فقد استقرّت الكتابة الإنجليزية نسبياً منذ عدة قرون، في حين استمر النطق في التطور والتغيّر. ومن أبرز التحولات الصوتية في تاريخ الإنجليزية ما يُعرف بالتحول الكبير في حروف العلة Great Vowel Shift، الذي وقع بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر(Crystal, 2008). فقد كانت كلمات مثل *time* و *house* تُنطق تقريباً /teːm/ و /huːs/ على التوالي، قبل أن تتغير أنماط نطقها مع بقاء تهجئتها إلى حد كبير دون تغيير(Duignan, 2026) .كما أن الإنجليزية استوعبت عدداً كبيراً من المفردات من لغات أخرى مثل الفرنسية واللاتينية واليونانية واللغات الإسكندنافية، وغالباً ما احتفظت بالتهجئات التاريخية أو الاشتقاقية لهذه الكلمات. وهذا ما يفسر وجود تقابلات غير منتظمة مثل *though* و *through* و *rough* و *cough*، حيث تُنطق التراكيب الإملائية نفسها بطرق مختلفة.

أما الشفافية التي تُلاحظ في نظام الكتابة الحديثة للأمازيغية، فترتبط أساساً بحداثة عملية تقنينها وتوحيدها. فقد خضع نظام الكتابة الأمازيغي، تيفيناغ، لعمليات التقنين والمعايرة خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين، في إطار سياسات تخطيط لغوي ممنهج. وقد صُمّم هذا النظام الكتابي مع مراعاة التمثيل الصوتي، بحيث يهدف غالباً إلى تحقيق تقابل وثيق بين الحروف والأصوات . ولذلك يمكن في الأمازيغية التنبؤ بالنطق انطلاقاً من الكتابة بدرجة عالية من الدقة، نتيجة اعتماد مبدأ التقابل الأحادي بين الرمز والصوت. غير أن هذا لا يعكس براعة لغوية جوهرية، بل هو نتيجة طبيعية لعمليات التقنين الحديثة التي تُعطي الأولوية للوضوح الوظيفي والتيسير البيداغوجي.

وفي هذا السياق، لا تُعدّ الأمازيغية حالة استثنائية أو فريدة من حيث الشفافية الإملائية. إذ توجد لغات عديدة تتسم بدرجة عالية من الشفافية الإملائية، من بينها اللغة الإندونسيا ، التي خضعت بدورها لعمليات تقنين حديثة، وتُعرف بنظامها القائم على تقابل منتظم بين الفونيمات (phonemes) والغرافيمات (graphemes). وعليه، فإن الشفافية الإملائية في الأمازيغية ليست دليلاً على تفردٍ لغوي، بل هي خاصية شائعة في عدد كبير من اللغات التي خضعت لعمليات تقنين مماثلة في السياق التاريخي الحديث. ومن ثم، فإن أي ادعاء بخلاف ذلك لا يعكس الواقع البنيوي للأمازيغية، بل يعكس سوء فهم لكيفية نشوء أنظمة الكتابة وتطورها وإعادة تقنينها ضمن سياقات تاريخية ولسانية أوسع.

8. الخاتمة

تكشف هذه الدراسة أن عدداً من الافتراضات السائدة في مجال اللسانيات التاريخية للأمازيغية، ولا سيما تلك المتعلقة بإعادة بناء الأمازيغية البدائية، وبإشكالية الغياب المعجمي، وبالقيمة الفونولوجية للصوت /ح/، تقوم على تبسيطات منهجية؛ تتمثل أساساً في الخلط بين التجريد الآني (السنكروني) وإعادة البناء التاريخي (الديكروني)، وفي الاعتماد على مدونات معجمية غير مكتملة، إضافة إلى

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الاستناد إلى نماذج فونولوجية انتقائية. ومن خلال تحليل حالة اسم *شلح*، تبيّن أن غياب المفردات أو شكلها الفونولوجي وحده لا يكفيان للحسم في مسائل الاشتقاق، إذ ينبغي أخذ عوامل التماس اللغوي، والتغير الداخلي، والمعطيات السوسيولسانية بعين الاعتبار بصورة متكاملة.

وفي المقابل، تواجه هذه الدراسة قيوداً منهجية مهمة، من بينها الطابع الجزئي والمتقطع للمعطيات التاريخية المتاحة، وندرة المصادر المكتوبة المبكرة، وعدم توازن توثيق اللهجات الطرفية. وعليه، ينبغي أن تتجه الأبحاث المستقبلية إلى توسيع قواعد البيانات المقارنة، وإدماج الأصناف اللغوية غير الممثلة بشكل كافٍ، وتعميق دراسة التغيرات الصوتية الناتجة عن التماس اللغوي، وذلك بهدف تحسين نماذج إعادة بناء الأمازيغية البدائية، وفهمٍ أدق للتفاعل الدينامي بين الإرث اللغوي والابتكار والتشكل الهوياتي في الأمازيغية.

Bio:

Youness Boussaid is a teacher of English language. He has been teaching in China since 2018. He is currently teaching in an international school in Tianjin, China. He has a bachelor's degree in English linguistics from Ibn Zohr University and a master's degree in Applied Linguistics and TESOL from Portsmouth University. He is an alumnus of renowned international programs from different countries such as Access program by the US Department of State, MEPI from the University of Delaware in the USA, and Darmasiswa from the University of Indonesia. He is the author of several academic articles in multiple international journals as well as the author two books: *Metaphor and Deixis in Tashelhit* and *Unlocking English Grammar: A Chinese Learner's Roadmap to Mastery* which is based on the most common errors by Chinese learners of English (written in both English and Chinese). His research interests include cognitive linguistics, Tashelhit, innovative pedagogical interventions, metaphor, Hebrew, and comparative religion.

السيرة الذاتية

يونس بوسعيد استاذ اللغة الإنجليزية. يُدرّس في الصين منذ عام 2018. يُدرّس حاليًا في مدرسة دولية بمدينة تيانجين، الصين. حصل على درجة البكالوريوس في اللغويات الإنجليزية من جامعة ابن زهر، ودرجة الماجستير في اللغويات التطبيقية وتدريس اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها (TESOL) من جامعة بورتسموث ببريطانيا. تخرج من برامج وطنية و دولية مرموقة، مثل برنامج الوزارة الخارجية الأمريكية Access في المغرب، وبرنامج MEPI من جامعة ديليوير في الولايات المتحدة الأمريكية، وبرنامج Darmasiswa من جامعة إندونيسيا. ألّف العديد من المقالات الأكاديمية في مجلات دولية مُحكمة حول مواضيع من بينها: تاشلحيت، الاستعارة، اللغويات المعرفية، والتدريس، بالإضافة إلى كتابين: *Metaphor and Deixis in Tashelhit* و*Unlocking English Grammar: A Chinese Learner's Roadmap to Mastery*، والذي يتناول الأخطاء الأكثر شيوعًا لدى متعلمي اللغة الإنجليزية الصينيين (مكتوب باللغتين الإنجليزية والصينية). تشمل اهتماماته البحثية تمازيغت، اللسانيات المعرفية، التدخلات التربوية المُبتكرة، الاستعارة، التداولية، اللغة الصينية والعبرية ومقارنة الأديان.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

المراجع:

بالعربية:

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1882). *لسان العرب*. دار المعارف.
- العلوي، التقي. (1978). أصول المغاربة: القسم البربري شعبة المصامدة. *مجلة البحث العلمي- المركز الجامعي للبحث*، *14* (28). 209-248.
- شفيق، محمد. (1996). *المعجم العربي الامازيغي*. اكاديمية المملكة المغربية.
- يونس، بوسعيد. (2026). المغالطات اللغوية في تحليل الأسماء المحلية: دحض الأصل العربي المزعوم ل"شلح" من خلال النقد الإيتمولوجي والقاموسي. *مجلة أطلنتس*، *1* (54). .101-126

بالإنجليزية:

- Basset, A. (1945–1948). *Le système phonologique du berbère*. GLECS IV.
- Basset, A. (1952/1969). *La langue berbère*. International African Institute.
- Beguinot, F., & Mordini, A. (1937). Tuareg. In *Enciclopedia Italiana*. Istituto della Enciclopedia Italiana. https://www.treccani.it
- Boogert, N. van den. (1997). *The Berber literary tradition of the Sous: With an edition and translation of "The Ocean of Tears" by Muhammad Awzal (d. 1749)*. Brill.
- Boukous, A. (2016). Colonization and Berber dialectology: An overview. In *La lingua nella vita e la vita della lingua: Itinerari e percorsi degli studi berberi* (pp. 153–171).
- Chaker, S. (2022). *Berbères aujourd'hui: Kabyles et Berbères, luttes incertaines* (Nouvelle éd.). L'Harmattan.
- Crystal, D. (2008). *A dictionary of linguistics and phonetics* (6th ed.). Blackwell Publishing.
- Fellman, J. (1973). *The revival of a classical tongue: Eliezer Ben Yehuda and the modern Hebrew language*. Mouton.
- Galand, L. (1988). Le berbère. In J. Perrot (Ed.), *Les langues dans le monde ancien et moderne* (pp. 207–242).
- Galand, L. (2010). *Études de linguistique berbère*. Peeters.
- Greenberg, M. (1955). *The Ḥab/piru* (American Oriental Series, Vol. 39). American Oriental Society.
- Hart, D. M. (1976). *The Ayt Waryaghar of the Moroccan Rif: An ethnography and history*. University of Arizona Press.
- Hogg, R. M. (1992). *A grammar of Old English: Volume 1, Phonology*. Blackwell.
- Jongeung, K. (1984). *Nantes in Neo-Punic inscriptions*. University of Groningen.
- Jongeung, K. (1994). *North-African nomes from Latin sources*. Brill.
- Kossmann, M. G. (1999). *Essai sur la phonologie du proto-berbère*. Rüdiger Köppe Verlag.
- Kossmann, M. G. (2013). *The Arabic influence on Northern Berber*. Brill.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- Kossmann, M. G. (2020a). Berber. In R. Vossen & G. J. Dimmendaal (Eds.), *Oxford handbooks in linguistics* (pp. 281–289). Oxford University Press. https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780199609895.013.37
- Kossmann, M. G. (2020b). Proto-Berber phonological reconstruction: An update. *Linguistique et Langues Africaines, 6*, 11–42.
- Kroonen, G. (2013). *Etymological dictionary of Proto-Germanic*. Brill.
- Lass, R. (1992). Phonology and morphology. In N. Blake (Ed.), *The Cambridge history of the English language* (Vol. 2). Cambridge University Press.
- Matras, Y. (2009). *Language contact*. Cambridge University Press.
- Prasse, K.-G. (1969). *À propos de l'origine du h touareg (tahaggart).* Munksgaard.
- Prasse, K.-G. (1972–1974). *Manuel de grammaire touarègue (tahaggart)*. Akademisk Forlag.
- Rainey, A. F. (2008). Shasu or Habiru: Who were the early Israelites? *Biblical Archaeology Review, 34*(6).
- Ringe, D., & Taylor, A. (2014). *The development of Old English: A linguistic history* (Vol. 2). Oxford University Press.
- Römer, T. (2015). *The invention of God*. Harvard University Press.
- Souag, L. (2009). Siwa and its significance for Arabic dialectology. *Zeitschrift für arabische Linguistik, 5*, 51–75.
- Souag, L. (2013). *Berber and Arabic in Siwa (Egypt): A study in linguistic contact*. Köppe.
- Taine-Cheikh, C. (2000). À propos du zénaga: Vocalisme et morphologie verbale en berbère. *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris, 95*(1), 269–322.
- Thomason, S. G., & Kaufman, T. (1988). *Language contact, creolization, and genetic linguistics*. University of California Press.
- van der Toorn, K., Becking, B., & van der Horst, P. W. (Eds.). (1999). *Dictionary of deities and demons in the Bible* (2nd ed.). Brill.
- Versteegh, K. (2014). *The Arabic language* (2nd edition). Edinburgh University.
- Woidich, M. (2006). *Das Kairenisch-Arabische: Eine Grammatik*. Harrassowitz.
- Duignan, B. (2026, June 15). *Great Vowel Shift. Encyclopedia Britannica*. https://www.britannica.com/topic/Great-Vowel-Shift
- Council, I.C., Williamson, K.J. (2026, June 6). *Inuit. Encyclopedia Britannica.* https://www.britannica.com/topic/Inuit-people

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved